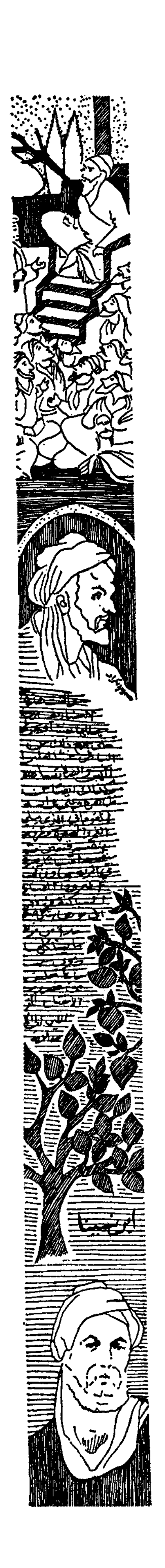

دار المنظومة
DAR ALMANDUMAH
الرواد في قواعد المعلومات العربية



ابن سينا

بين المشرق والمغرب

الدكتور ابراهيم مدكور
رئيس مجمع اللغة العربية بالقاهرة

يطيب لنا دائما أن نتحدث عن ابن سينا ، والحديث عنه شائق وجذاب . ومنذ أربعين سنة أو يزيد تردد اسمه كثيرا لدى الخاصة ، وربما امتد الى العامة . فقامت حوله دراسات متلاحقة ،واحتفل بذكراه غير مرة . وكان اخواننا الاتراك سباقين الى ذلك ، وهم أول من فكر وعُني به . وحذا حذوهم العرب والإيرانيون ،فأقاموا مهرجانين متعاقبين : أولهما في بغداد عام ١٩٥٢ ، ثانيهما في طهران عام ١٩٥٤ .وذلك بمناسبة الذكرى الألفية لمولد الشيخ الرئيس ، على حسب التقويم الهجري .

والمهرجانان متصلان ومتتامان ، مبعثهما واحد وهدفهما مشترك .

وقدر لي أن أكون على صلة وثيقة بهما ، وأن أتابع خطواتهما منذ البداية ،وأن أسهم فيهما اسهاما تاما . وحرص العرب والايرانيون على أن يعدوا لهما اعدادا لائقا وقضوا في ذلك بضع سنوات . ويوم أن اكتملت العدة وجهت الدعوة شمالا ويمينا الى الهيئات والجماعات ، والى بعض الافراد ممن تخصصوا في درس ابن سينا ،وعنوا بعلمه وفلسفته . وكانت الاستجابة صادقة وشاملة ، فلبى الدعوة نفر من كبار الباحثين في الشرق والغرب ، واسهموا في توضيح كثير من جوانب الفكر السينوي وفي وسعنا أن نقرر أن هذين المهرجانين كانا حقا على مستوى الشيخ الرئيس ،وبرهنا على أنه مفكر عالمي كان ولايزال موضع درس وتقدير . وحرص اليونسكو على أن ينوه به ، وأن يشترك في تخليد ذكراه ومهرجاناته .

ولم يقف هذا التخليد عند العالم الإسلامي ، بل جاوزه إلى العالم المسيحي ،

واضطلعت به دول وهيئات مختلفة في أوربا وأمريكا • ولا أزال أذكر الإذاعة الفرنسية التي رحبت بهذه المناسبة ، وقضى قسمها العربي شهرا كاملا في تقديم حديث يومي عن ابن سينا • ولن أنسى أيضا تلك الحفلة الساهرة التي أقيمت في قاعة ريشليو بالسربون بعد مهرجان طهران بقليل ، وارتفع فيها صوت فرنسا وايران ومصر منوها بالفيلسوف الكبير•وشاء الفاتيكان نفسه أن يسهم مشكورا في هذا الاحياء والتخليد فاستضاف لمدة عام كامل فيلسوفا مصريا شابا ، هو المرحوم محمود الخضيري ومكنه من الاطلاع على مكتباته وماشتملت عليه من آثار ابن سينا ، سواء أكانت بالعربية أم باللاتينية ، وجانبها اللاتيني غني وحافل بالمخطوط والمطبوع •

□ □ □

وها نحن أولاء اليوم أمام ذكرى ألفية لمولد ابن سينا على أساس التقويم الميلادي • وقد حمل اليونسكو رايتها ، ودعا اليها ، ولايسعنا الا أن نشكره أصدق الشكر باسم تاريخ الفكر الانساني واحيائه • ومن حسن الحظ أن الفيلسوف الاسلامي كفيل بأن يلبي كل دعوة • ومجال القول فيه ذو سعة • ومنذ عام ١٩٤٨ نحن نعيش معه ، فقداضطلعنا باخراج موسوعته الكبرى ، وهي كتاب الشفاء الذي يشتمل على ٢٣ مجلداً تنصب على المنطق ، والطبيعيات ، والرياضيات ،والإلهيات • وقد أفسحت هذه المجلدات في السبيل لدراسات متصلة فيها تحليل ومقارنة ، ونقد وتعليق • ولابن سينا مؤلفات لاتزال مخطوطة ، وما أحوجها أن يوجه النظر إليها وأخرى نشرت على عجل ، وتتطلب اعادة نظر ، وتحقيقا ونشرا على أساس علمي دقيق • ومع هذا يجدر بنا أن نلتزم في التخليد واحياء الذكرى بتقويم بعينه ، لكي تتفادى التكرار ، وندخر جهودا نحن في حاجة اليها ، لاسيما أن في الفكر الاسلامي أعلاماً شبه منسية ، تنقصها هذه الجهود •

□ □ □

هذا هو ابن سينا في الفكر المعاصر ، ونود أن نرجع الى اصوله ، وان نتابعه في سيرة الزمن ، مشيرين أولا الى آثاره في المشرق ، ونحن نعلم انه قمة عليا من قمم القرن الخامس الهجري ، وهو العصر الذهبي للفكر الاسلامي • فما ان بلغ العشرين حتى أخذ الملوك والأمراء يتنافسون في دعوته الى حضرتهم ، كي يفيدوا من علمه وفلسفته ، وقضى نحو أربعين سنة متنقلاً بين بعض العواصم الإسلامية •

ولقد كان غزير العلم ، واسع المعرفة ، ويعد من كبار الموسوعيين في التاريخ • الى جانب تبحره في الطب والفلسفة • كتب وألف بالعربية والفارسية ، وخلف لنا ثروة فكرية بالغة ، نذكر من بينها كتاب الشفاء،وكتاب الاشارات في الفلسفة ،وكتاب



القانون في الطب. وكون مدرسة اتصل سندها من القرن الخامس الى القرن السابع الهجري ، ومن أشهر رجالها بهمنيار بن المرزبان (٤٠٨ هـ) الذي كان أثيراً لدى أستاذه ، وناصر الدين الطوسي (٦٧٢ هـ) الذي يعد شيخ أتباع ابن سينا المتأخرين وله على الاشارات شرح يعول عليه الباحثون والدارسون حتى اليوم .

وبين المشائين العرب ، يعد ابن سينا الفيلسوف الاول الذي عرف كيف يتآخى مع المدارس الكلامية، سنّية كانت أو شيعية . فأخذ فخر الدين الرازي (١٢٠٩م[1])، وهو الفقيه الكبير والاشعري المعروف ، بكثير من آرائه ، وحرص هو الآخر على أن يشرح كتاب الاشارات . والايجى (١٣٥٦ م) والتفتازاني (١٣٨٧ م) ، وهما من كبار الاشاعرة المتأخرين يعولان عليه كل التعويل في دراساتهما الطبيعية والميتافزيقية وكتابا هما المشهوران ، المواقف ،والعقائد ، يمزجان الكلام بالفلسفة وكان لهما شأنهما في الدراسات العقلية بالمعاهد الاسلامية الكبرى ، كالأزهر والزيتونة والقرويين ، منذ القرن الثالث عشر الميلادي إلى اليوم .

ولم يكن حظ التصوف الاسلامي في الأخذ عن ابن سينا بأقل من حظ علم الكلام ، لأنه كان في آن واحد فيلسوفاً ومتصوفاً . ويعرض الفصل الأخير من كتاب الاشارات لقضايا كانت دعامة التصوف الفلسفي في الاسلام . وحكمة ابن سينا المشرقية غذّت دون نزاع الفلسفة الاشراقية التي قال بها السهروردي المقتول (١١٩١ م) ، واستلفتت هذه الصلة نظر كثير من الباحثين بين مشارقة ومستشرقين وابن عربي (١٢٤٠ م) ، وان نحا منحى « وحدة الوجود » عول فيها على دعائم سبقه بها ابن سينا، وأفاد كثيرا من نظراته الصوفية ، وابن سبعين (١٢٧٠ م) ، وان عارض الشيخ الرئيس ونقده أحياناً ، مدين له بقدر غير قليل من الآراء والأفكار ، ولا غرابة فهو خاتمة المتصوفة الفلاسفة .

وفي كلمة واحدة يمكننا أن نقرر أن فلسفة ابن سينا كانت الفلسفة الوحيدة في العالم الاسلامي ، وبخاصة في المشرق ، منذ القرن السادس الهجري الى القرن الرابع عشر ، برغم حملة الغزالي (١١١١ م) العنيفة على الفلسفة والفلاسفة . فكانت تدرس في المعاهد الدينية الكبرى في ثنايا التصوف وعلم الكلام ، في القرويين ، والزيتونة بالمغرب ، وفي الجامع الأزهر ، وكبرى مساجد دمشق ، وبغداد ، وأصبهان وشيراز بالمشرق . ومما يلفت النظر حقا أن الفلسفة عرفت في هذه المعاهد كيف تتآخى مع التصوف وعلم الكلام ، وفي وسعنا أن نذهب الى أبعد من ذلك ، فنلاحظ

---

١ ـ التواريخ التي يثبتها كاتب المقال إزاء الاعلام تدل على سني الوفاة **(المجلة)**

أنا نلمس لدى جمال الدين الافغاني (١٨٩٧) ومحمد عبده (١٩٠٥) بعض لمحات من فكر ابن سينا •

□ □ □

وابن سينا الفيلسوف عالم أيضا ، ولعلمه أثره وصداه ، والعلم والفلسفةمختلطان كل الاختلاط وممتزجان في التاريخ القديم والمتوسط • ولفيلسوفنا دراسات علمية جديرة بالنظر والتأمل ، وقد كشفت عنها بوجه خاص طبيعيات الشفاء ورياضياته • فعرض فيها للجيولوجيا ، والنبات ، والحيوان ووقف طويلا عند علم النفس • وله فيالرياضيات أبحاث دقيقة ومفصلة : في الحساب ، والهندسة ، والفلك ، والموسيقى وهو في هذا يسمو على أرسطو الذي لميقف عندالرياضيات طويلا • وسبق لي أن نوهت ببعض جوانب ابن سينا العلمية ، وأحرص على أن أقرر أنها لم تنل بعد حظها من البحث والدرس • ويوم ان تدرس في عناية وسعة ، ستكشف عن أثر ابن سينا في تاريخ العلم العربي بعامة ، وقد اجتذب هذا التاريخ بعض الباحثين من المستشرقين ولكنه لايزال في حاجة الى تخصص أعمق وبحث أشمل •

وابن سينا طبيب أخيرا ، وطبيب عظيم يعد بين كبار الاطباء العالميين ، وكتابه القانون احد كتب الطب العالمية • وهو في الطب كأصول اقليدس في الهندسة ، والمَجِسطي لبطليموس في الفلك ، والطب العربي خاصة مدين له بقسط كبير • وضع في أسلوب واضح وترتيب منسق ، وقدم الطب اليوناني والطب العربي في صورة كاملة ، وقد طغى على الكتب الطبية العربية الاخرى ، وفاز بالصدارة وأضحى المرجع الاول للطب العربي طوال عدة قرون ، وكان يدرس في المعاهد الاسلامية الكبرىمنذ القرن الخامس الهجري حتى أخريات القرن الماضي • وتتلمذ عليه أطباء متلاحقون ، وفي مقدمتهم ابن النفيس (١٢٨٨م) الذي اكتشف لاول مرة الدورة الدموية الصغرى • واعترافاً بفضل أستاذه عليه ، سمى كتابه الهام « موجز القانون » •

□ □ □

ولم يقف أثر ابن سينا عند العربية ، بل جاوزها الى لغات شرقية أخرى ،وسبق لنا أن أشرنا إلى أنه ألف بالفارسية ، لغته الأصلية ، كما الف بالعربية ، وتبودلت مؤلفاته بين مواطنيه الذين حاولوا أن يترجموا إلى لغتهم الوطنية مؤلفاته العربية ، وكثيرا ماكتب علماء الفرس بهاتين اللغتين • وعندهم أن ابن سينا هو الطبيب الكبير والفيلسوف الأول ، وبقي طبه وفلسفته يدرسان الى عهد غير بعيد • وكان له أتباع وتلاميذ نذكر من بينهم صدر الدين الشيرازي (١٦٤٢ م) ، الذي أخذ كثيراً عن ابن سينا ، درسه وعلق عليه ، وكانت شروحه مما يعول عليه •



وعن العربية والفارسية عرف ابن سينا في اللغتين التركية والكردية ، وكان له بوجه خاص شأن في اللغة العبرية ، وله فيها أنصار وأتباع • وقد خدمه اليهود درسا وترجمة ، ترجموها لأنفسهم ثانية ، ثم عاونوا معاونة صادقة في نقله إلى اللاتينية • وفيلسوفهم الكبير ، ابن ميمون (١٢٠٤ م) مدين لابن سينا بقدر دينه لابن رشد (١١٩٨م) • واستطاعت فلسفة ابن سينا أن تجد طريقها أيضا إلى اللغة السريانية فترجم اليها بعض كتبه كالإشارات ، ورسالة الطير،ويعد ابن العبري (١٢٨٦ م) أحد كبار مفكري السريان في القرن الثالث عشر الميلادي ، من تلاميذ ابن سينا المخلصين •

□ □ □

لم يتأخر طويلا عبور ابن سينا إلى أوربا ، فلم يكد يمضي على وفاته نحو قرن حتى بدىء في ترجمته إلى اللاتينية • وسعى رجال القرون الوسطى المسيحية الى الحصول على مؤلفاته ، وبخاصة كتاب الشفاء الذي أشرنا اليه من قبل • وقد ترجم على مرحلتين : أولاهما في النصف الثاني من القرن الثاني عشر الميلادي ، والثانية بعد ذلك بنحو مائة عام • بدأ المدرسيون بالمنطق ، فترجموا « ايساغوجي » الذيعد خطأ من صنع أرسطو ، وفصلا من « التحاليل الثانية » وانتقلوا الى الطبيعيات ، فترجموا منها القسم الأول ، والثاني ، والسادس ، وهو « كتاب النفس » • ثم ترجموا الالهيات بجزئيها كاملين • وفي المرحلة الثانية استكملوا أجزاء الطبيعيات • ونتساءل لم لم يتعرضوا للرياضيات ؟ وأغلب الظن أنها لم تقع تحت بصرهم • ثم ترجموا أخيراً أجزاء من النجاة ، والإشارات ، وبعض الرسائل الصغيرة• واستطاع اللاتين بهذا ان يحصلوا على مراجع مباشرة وكاملة لفلسفة ابن سينا ، أما طبه فقد ترجموا منه كتاب القانون في عهد مبكر • وما ان ترجمت هذه المراجع حتى نسخ منها عشرات وعشرات ، تسابق الباحثون للحصول عليها ، وظهرت في كثير من مدن أوربا ، ومعروف أن تجارة المخطوطات كانت رائجة هنالك كل الرواج في القرن الثالث عشر الميلادي •

ومأأشبه حركة الترجمة اللاتينية بحركة الترجمة العربية التي سبقتها بنحو قرنين أو يزيد ، وفيها ضرب من التقليد والمحاكاة • بدىء بها في القرن العاشر الميلادي ،دون أن تتوافر لها وسائل الجودة والاتقان ، ثم أخذ اللاتين يجردونها إلى ان بلغوا بها شأواً لابأس به في القرنين الثاني عشر والثالث عشر ، وإن بقيت ترجمتهم حرفية في الغالب • ترجموا عن العبرية ، وعن العربية ، واستطاعوا أيضا أن يترجموا عن اليونانية • وعلى غرار العرب عنوا في ترجمتهم خاصة بالعلم والفلسفة ، ولم تستوقفهم المراجع الادبية ، واستعانوا في البداية بمترجمين يعرفون لغتين أو أكثر



دون تقيد ببلد أو جنسية ، ثم شاء كل بلد أن يكون مترجمين خاصين • فأنشئت في طليطلة مدرسة لتعليم اللغات الأجنبية : العبرية ، والعربية ، واليونانية •وفي هذه المدرسة نشأ الاب ريمون مارتان Martin (القرن ١٣)، الذي كان على علاقة بالقديس توما الأكويني (١٢٧٤ م) • وبعد ذلك بقليل رأى ريمون ليل LULL (١٣١٦ م) ضرورة إنشاء كرسي للغات الأجنبية في مختلف الجامعات الأوربية •

وكانت طليطلة وبالرم مركزي الترجمة الهامين في القرنين الثاني عشر والثالث عشر • فجدت طليطلة في جمع عدد غير قليل من النصوص العربية ، ونظمت جماعات من المترجمين ، وعلى رأس كل جماعة مترجم يقود العمل ويراجع الترجمة • ومن بين هؤلاء المترجمين نستطيع أن نذكر جيرار الكريموني (١١٨٧م) الذي عنى خاصة بترجمة المؤلفات العلمية ، ودومنيك جند سالينوس (١١٥٠ م) الذي وقف نفسهعلى الفلسفة ،وأدخل بعض الفلاسفة العرب الى اللاتينية ، ومن بينهم الغزالي (١١١١م) الذي كان معاصرا له تقريبا •

أما بالرم فقد نشطت فيها حركة الترجمة نشاطا ملحوظا في القرن الثالث عشر تحت رعاية الامبراطور فردريك الثاني الذي كان على صلة ببعض مفكري الاسلام ورؤسائه ، ودار بينهم وبينه حوار كانمن ثماره « الرسالة الصقلية » التي اشتملت على أسئلة أجاب عنها ابن سبعين • وقد جد فردريك بدوره في جمع أكبر عدد ممكن من النصوص العربية ،وفي مقدمتها شروح ابن رشد على أرسطو • ودعا الىترجمتها وحاول مافي وسعه أن ينشرها في الجامعات الأوربية ، إيماناً منه بما اشتملت عليه الثقافة العربية من درس وبحث • وقاد حركة ترجمة نشيطة وواسعة ، ووفق لمترجم بارع عرف كيف يترجم وكيف يستحث المترجمين الاخرين ، وهو ميشيل اسكوت (١٢٥٥ م)[1] الذي غذى حركة الترجمة في بالرم بغذاء وافر ، من بينه شروح ابن رشد التي ترجمت إلى اللاتينية ، ولما يمضِ على موت مؤلفها ربع قرن •

وربما ترجم النص الواحد عدة مرات ، وعلى أيدي مترجمين مختلفين • ومن بينهم من لم يتمكن من ترجمته كل التمكن • وقد أولع روجر بيكون (١٢٩٤ م) ، الذي كان معجبا بابن سينا ، بمقارنة هذه الترجمات بعضها ببعض • وأغلب الظن انه لم يكن يعرف العربية معرفة تمكنه من هذه المقارنة ، ولعله كان يستعين ببعض المستعربين القريبين منه • وعلى كل حال استطاع هؤلاء المترجمون أن يحتفظوا لنا بنصوص قيمة لم نقف بعد على أصولها العربية •

---

(١) ذكر مؤلف المقال ان وفاته في ١٢٥٥ م والصحيح في سنة ١٢٣٥ م ولعل ذلك من خطأ النسخ •



وعلى هـذا عرف الغرب منذ عهد مبكر ابن سينا العالم ، والفيلسوف ، والطبيب • وكان لبعض آرائه العلمية صدى بعيد لدى بعض كبار المفكرين المسيحيين من رجال القرن الثالث عشر ، وفي مقدمتهم ألبير الكبير (١٢٤٠م)[٢] وروجر بيكون وقد قدرا موقفه حق قدرة من تلك القضية الخاطئة التي شاعت في التاريخ القديم والمتوسط لدى بعض الكيميائيين الذي كانوا يزعمون أن في الامكان تحويل المعادن الخسيسة الى معادن نفيسة ، وقد أنكر ابن سينا هذا انكارا تاما،واستطاع أن يصحح مسار البحث الكيميائي ، وان يمهد لعلم الكيمياء الحديث وقال ابن سينا أيضا مع بعض المفكرين السابقين،بكروية الارض فمهد لأمثال كوبرنيك (١٥٤٣م) وجاليلو (١٦٤٢ م) وحاول في الجيولوجيا أن يوضح كيفية تكوين الصخور والجبال،وساعد على وضع نظرية البراكين التي عرفت في القرن السابع عشر • ولم يفت ابن سينا أن يستعين في بحوثه العلمية والطبية بالملاحظة والتجربة ، ويمكن أن يعد بهذا من بناة المنهج التجريبي ، وربما كان ذلك من عوامل القربى بينه وبين روجر بيكون •

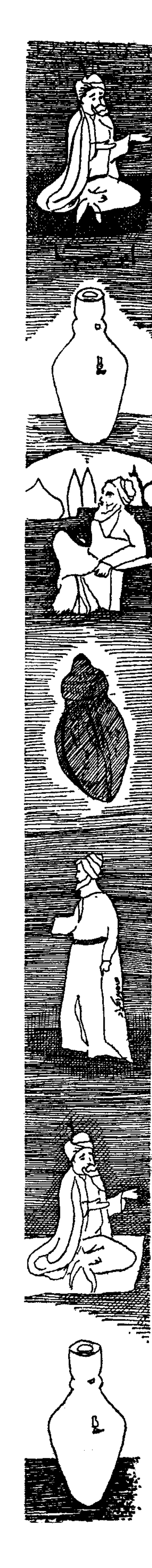
وأثر ابن سينا في فلسفة القرون الوسطى المسيحية جد عظيم • فغذى بكتابه المدخل مشكلة الكليات غذاء تاما ، وهي مشكلة لها وزنها في تاريخ الفلسفة المدرسية المسيحية ، وله تفسيرات تتصل بهذه المشكلة ترجمت ترجمة حرفية الى اللاتينية ، وهي في « الكثرة » ، وقبل الكثرة وبعد الكثرة • وكتابه في النفس صادف نجاحاً كبيراً في هذه الفلسفة ، ولا نكاد نجد كتاباً عربياً آخر لقي فيها مثل حظه • وفي هذا الكتاب يعرف ابن سينا النفس ، ويثبت وجودها ، ويبرهن على خلودها ، وكل تلك قضايا تعنى المؤمنين والقائلين بالحساب والعقاب في اليوم الآخر • ومن حججه على وجود النفس برهانه المشهور باسم « برهان الرجل الطائر » الذي حظي بتقدير فائق لدى جماعة « الفرنسيسكان » ومماأشبهه ببرهنة سابقة للقديس أوغسطين • وهو يبعث أيضا على التفكير في « الكوجيتو » الديكارتي ، وقد ذهب بعض الباحثين الى انه ليس ببعيد أن يكون ديكارت ، أبو الفلسفة الحديثة ، قد وقف على هذا البرهان في قراءاته اللاتينية • وفي كتاب الالهيات وقف ابن سينا عند قضايا لاهوتية كبرى كأصل العالم ، وذات الباري وصفاته ، وصلته بمخلوقاته ، وكانت الشغل الشاغل لمفكري القرون الوسطى المسيحيين من فلاسفة ولاهوتيين •

□ □ □

فنرى اذن أن ابن سينا قد أثر تأثيرا ملحوظا في تاريخ الفكر المسيحي ابان

---

(٢) وفاته في سنة ١٢٨٠ م ولعل ماورد من خطأ النسخ •



القرون الوسطى ، فنوه به كبار المفكرين المسيحيين وأخذوا عنه • وعلى رأسهم ألبير الكبير وروجر بيكون اللذان اعتنقا بعض أفكاره وآرائه ، وحاولا أن يقلدا نسق كتاب الشفاء في مؤلفاتهما الموسعة • والقديس توما الاكويني،وان مال نحو ابن رشد نوعا ما ، نلحظ لديه بعض سمات سينوية • ودنس اسكوت (١٣٠٨ م) ، رئيس المدرسة الفرنسسكانية ، كان أميل الى ابن سينا وتظرياته،وجاراه في ذلك كبار رجال هذه المدرسة • فكان هناك تيار سينوي واضح في الفلسفة المسيحية ابان القرون الوسطى ، ولا سبيل لأن تفهم هذه الفلسفة فهماً دقيقاً إن أغفلنا هذا التيار • وقد وقف جلسون Gilson ، وهو شيخ مؤرخي الفلسفة المسيحية المعاصرين ، عنده طويلا،وسماه «الأوغسطينية السينوية» وسماه الاب دي فو « المذهب السينوي اللاتيني » وأوضح مايلحظ هذا التيار في القرن الثالث عشر ،واعتمد الفكر الفلسفي المسيحي في هذا القرن بخاصة على رجال ثلاثة يُكمِل بعضهم بعضا ، وهم أرسطو وابن سينا ، و ابن رشد

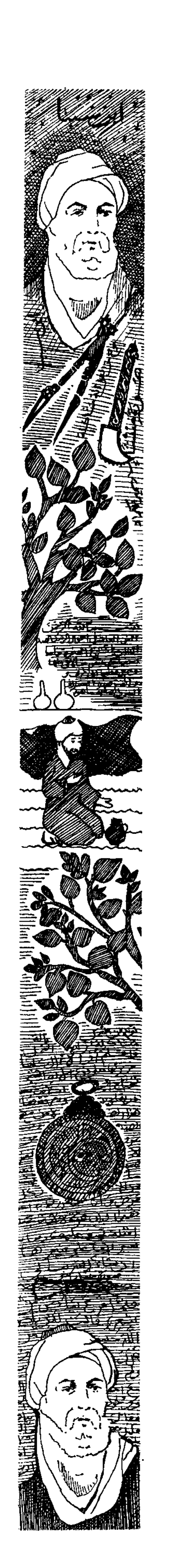
ولم يقف أثر ابن سينا في الغرب عند القرون الوسطى ، بل جاوزها الى عصر النهضة والتاريخ الحديث وسبق أن أشرنا الى مايبدو من تلاق بين « الرجل الطائر » عند ابن سينا و « الكوجيتو » الديكارتي ، وعقدت صلات أخرى بين الفيلسوف الإسلامي وباسكال ، واسبنوزا ، وليبتز • وفي مهرجان بغداد أطلقت عليه اسم « المفكر العالمي » الذي لم يتقيد فكره ولا فلسفته بزمان أو مكان معين • وفي هذا المهرجان نفسه أمدني زميل كريم ، هو جب كبير مستشرقي انجلترا المعاصرين ، بحجة مفحمة ، فقد أشار إلى كشف تمّ أخيراً في أثناء ترميم مكتبة «بودليين» بأوكسفورد، ولوحظ على حوائطها ثلاث صور مجتمعة ، أولاها لأرسطو ،وثانيها لأفلاطون ،وتردد الباحثون في شأن الصورة الثلاثة قليلا ، ثم قطعوا بأنها لابن سينا ، هذا ولاشك حدث له دلالته • وفي تاريخنا المعاصر لايزال ابن سينا يشغل الأذهان شرقا وغربا ، فتترجم كتبه الى اللغات الحية ، وحرص اليونسكو على أن يشجع هذه الترجمة ، وتقوم حوله دراسات مختلفة في الجامعات الإسلامية والمسيحية •

□ □ □

واكتسى طب ابن سينا وكتابه القانون ، بكساء عالمي ، في مقدمته ماترجم إلى اللاتينية من النصوص العربية ، وعد في أوربا مرجعاً هاماً للدراسات الطبية طوال ستة قرون ، من القرن الثاني عشر الى القرن السابع عشر(★) • ويوم أن اكتشف فن

(★) جاء في المجلة التي يصدرها اليونسكو «بريداليونسكو» ـ تشرين الأول ١٩٨٠ في اعلى الصفحة ٣٨ أن كتاب القانون بقي يدرس في جامعة بروكسل حتى في سنة ١٩٠٩ .

(المجلة)



الطباعة الحديث نشر في أوربا بالعربية واللاتينية قبل أن ينشر في الشرق والعالم الإسلامي ، وقد اعيد نشره في أوربا غير مرة ، وبلغ عدد طبعاته في القرن السادس عشر نحو العشرين ولا غرابة ، فهو كتاب سهل في اسلوبه ، منسق في منهجه ، شامل في موضوعه ، وقل أن يضارعه في ذلك كتاب طبي آخر في التاريخ القديم المتوسط .

□ □ □

وختاما أود أن أقرر أن ابن سينا كان صنيع عصره وبيئته ، وكان بحق قمة من قمم الثقافة العربية ، واستطاع أن يحتفظ بمكان بارز في تاريخ الثقافات العالمية أدى رسالته في المغرب كما أداها في المشرق ، أداها في الحاضر كما أداها في الماضي ، وسيذكر دائما بين من يمهدون للمستقبل . شغل الأذهان في التاريخ المتوسط والحديث ، ولايزال يشغلها حتى اليوم ، وهو دون نزاع حلقة هامة في تاريخ الفكر الانساني .

الدكتور ابراهيم مدكور

« تعليـــق »

١ — يجد الأستاذ الفاضل شبهاً قوياً بين حركة الترجمة اللاتينية وحركة الترجمة العربية . لاشك أن كلتيهما ترجمة ، ولكن الفرق بين الحركتين كبير ، ولابد من تبيان هذا الفرق بين نقل العرب عن اليونان ونقل الغربيين عن العرب .

ذلك أن حضارة العرب كانت أصيلة فاضت من جزيرة العرب وغمرت بلادا واسعة وممالك مترامية ، وعثرت في اتساعها على ثقافة اليونان التي كانت مبعثرة منثورة على وشك الضياع ، منزوية في بعض المراكز والأديرة ، فالتقطها العرب وترجموها في عواصمهم ، ومسحوا عنها غبار الإهمال ، وردوا رونقها إليها،واستفادوا منها رغم التواء الترجمات وغموضها وضعفها ، بالإضافة الى نقلهم تراث الأمم الاخرى كالفرس والهنود والصين والسريان .. فكان نقلهم نقل الأعلى عن الادنى والاقوى عن الأضعف ، بخلاف الاوربيين ، فلم تكن عندهم حضارة اذ ذاك وانما شهدوا حضارة العرب وحدها أمامهم ، فاقتبسوا من جذاها .

ولقد كان العرب أمناء اوفياء نقلوا نصيباً من العلم ونسبوه ما استطاعوا الى اهله . أما الأوربيون فلميكونوا كذلك ، بل نسبوا قسماً مما نقلوه إلى انفسهم . ولما تقدم الغربيون أحيوا التراث اليوناني مرة جديدة ، فطمسوا الاثار العربية وحاولوا ربط حضارتهم باليونان والرومان ، ولكنهم أصبحوا حين يبحثون في تاريخ الفكر والفنون وينقبون في غياهبه يرتطمون بمصاعب لا يستطيعون لها تذليلا من جراء

طمسهم لتلك الاثار ، ولذلك نجدهم يرجعون في الحين بعد الحين فيعنون بعض العناية بالاثار العربية وينقبون شيئاً من التنقيب عنها ، وقلما تسلم عنايتهم هذه من خدمة لمطامع دولهم السياسية والاستعمارية .

٢ — يدعو الاستاذ الفاضل الى التزام تقويم واحد في التخليد واحياء الذكرى ونظن انه يريد التقويم الهجري ، لان هذا التقويم يؤلف صلب الحضارة العربية . وكثير من الأقوام الحديثة تعتمد على تقويمها القومي وقد تشير إلى التقويم الميلادي كاليابان ، والفيتنام ، والايرانيين .

هذا وان للتقويم الهجري مزايا كثيرة ، لان الاشهر فيه قمرية ، والشهر القمري ذو صلة بأمور طبيعية وحيوية كالمدّ والجزر ، وافراز الغدد الصم في الانسان وفي الحيوان ، وبأمور أخرى .. وكذلك يدعونا التقويم الهجري الى العناية بالحسابات الفلكية والتدقيق فيها .

ولكن النظر الى شيوع التقويم الميلادي ، وثباته خلال الفصول ، واعتباره مصطلحا عالمياً — لا يرجع بالضبط الى تاريخ ميلاد السيد المسيح — يجعلنا نعتمد عليه أيضاً .

والمؤلف الفاضل في مقالته الممتازة اعتمد التقويمين معاً حين أرّخَ وفاة بعض الأعلام بالتاريخ الهجري ، واخرين بالتاريخ الميلادي .

ان التاريخ العربي الإسلامي حافل بالأعوام في كل ميدان ، ومن المناسب أن نعمد دائماً إلى احياء ذكرى هؤلاء جميعا ، وهذا هو الغرض من دعوة الأستاذ الفاضل ولكن تكرار الاحتفال بعلم كبير مثل ابن سينا لابد من أن يعود بالنفع نظرا لاتساع افاقه الفكرية : علمية ، وفلسفية ، وادبية ، وطبية .

(المجلة)

مراجع (عربية)

١ — ابن سينا : المدخل ، من منطق الشفاء ، القاهرة ١٩٥٢

الإلهيات ، جزءان ، القاهرة ١٩٦٠ — ١٩٦١

كتاب النفس ، جزءان ، القاهرة ١٩٧٤

٢ — مدكور (ابراهيم) ، مقدمة المدخل ، ١٩٥٢

مقدمة الإلهيات ، ١٩٦٠ — ١٩٦٢

مقدمة كتاب النفس ، ١٩٧٤

الفلسفة الإسلامية والنهضة الأوربية ، في اثر العرب في النهضة — القاهرة ١٩٧٠



مراجع (فرنسيـــة)

1 — D' Alverny .

2 — De Vaux, Notes et textes sur l'avicennisme latin anx confins du XII^e et XIII^e siècle Paris, 1934.

3 — Gilson (E.) Avicenne et le Point de départ de Duns scot, **Archives 1927.** Les sources greco - Arabes de l'augustinisme avicennaisant, **Archives.**

4 — Madkour (I) **Duns Scot entre Avicenne** et **Averroès,** Oxford 1966.

□ □ □